إدارة الشئون الدينية بالقوات المسلحة
إيمان وقوة

ماذا يمنعك من الحج

إعداد
القسم العلمي بمدار الوطن

الشئون الدينية - مستشفى القوات المسلحة بالرياض: ٤٧٧٧٧١٤ - تحويلة ٢٥٢٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد..

أخي الحبيب: ساءني – والله – أن تمرَّ بك الأعوام، وتتتابع عليك المواسم والأيام، وأنت قاعد عن إدراك فريضة الحجّ، تلك الفريضة التي هي ركن عظيم من أركان الإسلام، وقاعدة ثابتة من قواعده، وقد دلّ على وجوبها الكتاب والسنة والإجماع..

مع أنك – أخي – في صحة جيدة، ووفرة في المال – أسأل الله أن يزيدك من فضله – فماذا يمنعك – أخي – من الحج؟ وما الذي يعيقك عن الانتظام في سلك الحجيج؟!

لقد تأملت الأسباب التي تمنع الناس من أداء فريضة الحج، مع انتفاء الموانع الشرعية في حقهم، فوجدتها كلّها أسبابًا واهية، ترجع في مجموعها إلى ضعف الإيمان الناشئ عن فساد القلب وظلمته، فإذا فسد القلب وأظلم، نتج عن ذلك كل معصية وكل مخالفة تحصل من الجوارح، فالقلب هو ملك الأعضاء وقائدها وأميرها وموجهها، كما قال النبي ﷺ: **"ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب"** [متفق عليه].

أما الأسباب المفصلة فهي كالتالي:

١ – التسويف وطول الأمل:

يأتي الشيطان إلى المسلم من هذا الباب ليمنع عنه الخير، ويحرمه ثواب الطاعات، ويوقعه في إثم عدم المبادرة إلى امتثال الأمر، ولذلك حذَّر العلماء أشدّ التحذير من التسويف وطول الأمل، قال الحسن: ما أطال أحد الأمل إلا أساء العمل. وقال شداد بن أوس: أُنذركم "سوف". وروى ابن المبارك قال: حدِّثنا أن عامةَ دعاء أهل النار: يا أفٍّ للتسويف!

* **وقال الحارث المحاسبي:** والتسويف قاطع عن العمل.
* **وقال ابن الجوزي:** ومن الاغترار: طول الأمل، وما من آفة أعظم منه، فإنه لولا طول الأمل ما وقع إهمال أصلاً، وإنما يقدّم المعاصي ويؤخر التوبة لطول الأمل، وتبادر الشهوات وتنسى الإنابة لطول الأمل.
* **قال ابن رجب:** "فالواجب على المؤمن المبادرة بالأعمال الصالحة قبل ألا يقدر عليها، ويُحال بينه وبينها، إما بمرض أو موت، أو بأن يدركه بعض الآيات التي لا يُقبل معها عمل" [جامع العلوم والحِكم].

وما أدري وإن أملتُ عمرًا
لعلّي حين أصبح لست أُمسي
ألم تر أن كلَّ صباح يوم
وعمرك فيه أقصر منه أمسِ

٢- الرجاء الكاذب:

فبعض الناس يتعلق بآيات وأحاديث الرجاء، وعفو الله عزَّ وجلَّ وسعة رحمته، ويجعلها حُجّةً له في ترك الفرائض وفعل المناهي، وقد يزعم أن ذلك من حسن الظن بالله عزَّ وجل، فإذا ما عاتبته على ترك الحج مع القدرة عليه قال: إن الله غفور رحيم، أو يقول: ربُّنا ربّ قلوب، أو يسرد عليك شيئًا من آيات وأحاديث الرجاء وسعة الرحمة.

ولا شكَّ أن هذا من تلبيس الشيطان على ابن آدم، فإن الرجاء وحسن الظن بالله عزَّ وجلَّ لا يكون إلا مع الاجتهاد وحسن العمل كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

* قال يحيى بن معاذ: من أعظم الاغترار عندي: التمادي في الذنوب، على رجاء العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمني على الله عزَّ وجلَّ مع الإفراط.

ترجو النجاةَ ولم تسلك مسالكها
إن السفينة لا تجري على اليَبَسِ

٣- الكسل:

والكسل نوعان:

* أولاً: **كسل العقل**: بعدم إعماله في التفكر والتدبر

والنظر في عظيم صنع الله وآلائه، وترك النظر فيما يُصلح شأن الإنسان في الدنيا والآخرة.

* **ثانيًا: كسل البدن:** وهو المؤدي إلى التثاقل عن الطاعات وأداء العبادات على الوجه المشروع.

وهو من صفات أهل النفاق كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٤٢].

والكسل عاقبته وخيمة، لأنه يصدّ الإنسان عن طلب المعالي، ويمنعه عن إدراك المهمات، ويعيقه عن العمل النافع، والفكر المثمر، والسعي الحميد.

ولذلك قيل: إياك والكسل، فإنك إن كسلتَ لم تؤدّ حقًّا.

إن التواني أنكح العجزَ بنتَه
وساق إليها حين أنكحها مهرًا
فراشًا وطيئًا ثم قال لها اتكي
فقصرًا كما لا شكَّ أن يلدا الفقرا

٤ - البخل:

ومن الناس من يمنعه عن أداء فريضة الحج البخل وخوف النفقة، وهذا مرض خطير، من أصيب به فهو على شفا هلكة، فقد قال النبيُّ ﷺ: "**وأيُّ داء أدوى من البخل**" [البخاري في الأدب المفرد وصححه الحاكم في المستدرك].

إشارة إلى خطورة هذا الدواء وعظم آثاره السلبية.

قال تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴾ [محمد: ٣٨].

وعلاج ذلك:

* أولاً: أن يعلم المرء أن هذا المال ليس ماله، وإنما هو مال الله عزَّ وجلَّ، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد:٧] وقال: ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [النور: ٣٣] فليس من حقه إذن أن يبخل بمال الله على عباد الله، فضلاً عن أن يبخل به على نفسه.

* ثانيًا: أن يعلم ما له من الأجر والثواب في نفقته على الحج وغيره من الطاعات، قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦١] بل إن المتابعة بين الحج والعمرة من أسباب الغنى وحصول الرزق كما قال ﷺ: "تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكيرُ خبث الحديد والذهب والفضة" [رواه الترمذي وقال: حسن صحيح].

٥ - الخوف على الأهل والأبناء:

ومن الناس من يترك فريضة الحج تذرعًا بالخوف على الأهل والأبناء، وهذا ليس بعذر وبخاصة في هذه الأزمنة التي تقدمت فيها وسائل النقل بشكل مذهل،

حيث إن الطائرات تنقل الناس من أقصى الأرض إلى أقصاها في سويعات محدودة، وأيام الحج لا تجاوز أصابع اليد الواحدة، وقد كان السابقون من الناس يتركون أموالهم وأهليهم شهورًا عديدة، في رحلة شاقة يتعرضون خلالها لكافة أنواع المخاطر والمهالك، حيث كانت ظهور الإبل هي أسرع وسائل النقل يومئذٍ، ومع ذلك كانوا يتسابقون إلى الحج استجابة لقوله تعالى: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج: ٢٧ ٢٨].

فإذا كان هؤلاء لم يجدوا عذرًا لتخلفهم عن الاستجابة لنداء الرحمن، مع وعورة الطرق ومشقة السفر، وبدائية وسائل النقل، فإن من بعدهم جدير بألا يجد عذرًا، فترك الأهل والأبناء أسبوعًا أو أسبوعين لا يمكن أن يكون عائقًا عن أداء هذا الركن العظيم من أركان الإسلام.

وإذا كان المرء يخشى أن يترك أبناءه أيامًا قليلة، يؤدي خلالها فريضة فرضها الله عليه، فماذا سيفعل حينما يأتيه ملك الموت ليقبض روحه، ويصرعه، وينتزعه من بين الأهل والأبناء والأموال، فهل يستطيع أن يمنع ملك الموت من ذلك؟ وإذا كان لا يستطيع منعه من سلب روحه وانتزاع نفسه وتفرقة شمله، فعليه أن يتقي الله عزَّ وجلَّ، فإن الله تعالى

يحفظ الأبناء بصلاح الآباء كما قال سبحانه: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ﴾ [الكهف: ٨٢].

وقال: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ [النساء: ٩].

فإن تقوى الله عزَّ وجلَّ هي خير وسيلة لحفظ الذرية في حال الحياة وبعد الموت.

٦- الجهل بشروط وجوب الحج:

ومن الناس من يمنعه عن أداء الحج جهله بشروط وجوبه، فالحج قد يكون واجبًا عليه وهو لا يدري، والواجب على المسلم أن يتعلم أحكام العبادات التي فرضها الله تعالى عليه ومنها الحج، فيتعلم أن الحج يجب على المسلم البالغ العاقل الحر المستطيع بماله وبدنه، فإذا توفرت تلك الشروط وانتفت الموانع وجب الحج على الفور على الصحيح من أقوال أهل العلم، لقوله تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقوله ﷺ: "تعجلوا إلى الحج، فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له" [رواه أحمد وصححه الألباني].

٧- الكبر والتعالي:

وهذا مرض خطير أصاب بعض الناس، فمنعهم عن كثير من الفضائل التي يرون فيها انتقاصًا من مكانتهم ومهابتهم في النفوس، ومن ذلك أداء الصلاة مع الجماعة، إذ كيف يشاءون مع عامة الناس، فيقفون جميعًا على قدم المساواة أمام الله تعالى.

ولهذا السبب – أيضًا – يتركون الحج، لأن الحج عبادة يسقط فيها التمايز بين البشر إلا بالتقوى والعمل الصالح، فالكل يلبس إزارًا ورداءً هو أشبه ما يكون بكفن الموتى، لا تستطيع أن تميز بين غنيّهم وفقيرهم، أو بين عزيزهم وذليلهم، أو بين شريفهم ووضيعهم، وهذا – بحد ذاته – لا يُرضي أصحاب النفوس المتكبرة، والقلوب المريضة، والصدور الضيقة.

وعلى هؤلاء أن يعلموا:

أولاً: أن الرفعة والعزة في التواضع لا في الكبر، ولذلك قال ﷺ: "..... **وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عزَّ وجلَّ**" [رواه مسلم].

ثانيًا: أن الكبرَ من أسباب دخول النار، كما قال النبي ﷺ: "... **ألا أخبركم بأهل النار؟ كلّ عُتُلّ جوّاظٍ مستكبر**" [متفق عليه].

ثالثًا: أن الميزان يومئذ بالأعمال قال ﷺ: "**احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فيَّ الجبارون والمتكبرون. وقالت الجنة: فيَّ ضعفاء الناس ومساكينهم**" [رواه مسلم].

وقال ﷺ: "**إنه ليأتي الرجل السمين العظيم يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة**" [متفق عليه].

٨ – الغفلة عن الله والدار الآخرة:

وهذا حال كثير من الناس؛ صدّتهم الغفلة عن ذكر الله وطاعته، وزينت لهم حبّ الدنيا والركون إليها، وحجبتهم عن أداء ما افترض الله عليهم من العبادات.

* **قال ابن القيم:** "ومن تأمل حال هذا الخلق، وجدهم كلهم إلا أقل القليل ممن غفلت قلوبهم عن ذكر

الله تعالى، واتبعوا أهواءهم، وصارت أمورهم ومصالحهم فُرُطا، أي فرطوا فيما ينفعهم ويعود بصالحهم، واشتغلوا بما لا ينفعهم، بل يعود بضررهم عاجلاً وآجلاً".

وعلاج الغفلة:

١- **الإكثار من ذكر الله عزَّ وجلَّ:** قال تعالى: ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

٢- **صحبة الذاكرين الطائعين:** قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ [الكهف: ٢٨].

٣- **مجانبة أهل الغفلة:** قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ [الكهف: ٢٨].

٤- **المسارعة إلى الطاعات:** قال تعالى: ﴿ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

٥- **الاستعانة بالله عزَّ وجلَّ:** بالدعاء والاستغفار واللجوء إليه سبحانه والبكاء من خشيته.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل طاعته وأن يصرف عنا سُبل معصيته، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *